ويمنح بلده او كسان نفرضه تعالى باجرائه الامر فيه وانقطاع العلائق الجاذبة بين الملاك والاملاك
بالكلية واجراءها تنبيه الصفات الجليلة عليه سبحانه تعالى تعليل لما سبق من اختصاص الحمدية
تعالى المستلزم لاختصاص جميع افراده به تعالى وتمهيد للحق من اختصاص العبادة والاستعانة به فان
كل واحد منها مفصح عن وجوب ثبوت كل واحد منها له تعالى وامتناع ثبوتها لما سواه اما الاولى والثاني
فظاهر لانهما منبئان صراحة لكونه تعالى موجدا للكل وما سواه مربوبا مملوكا له تعالى واما الثانية والثالثة
فلا تتضمنه تعالى بها ليس الا بالنسبة الى ما سواه من العالمين وذلك يستدعي ان يكون الكل منعما
عليهم فظهر ان كل واحدة من تلك الصفات كما دلت على وجوب ثبوت الامور المذكورة له تعالى دلت
على امتناع ثبوتها لما عداها على الاطلاق وهو المعنى بالاختصاص **اياك نعبد واياك نستعين** التفات
من الغيبة الى الخطاب وتلوين للنظم من باب الى باب جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام
وسلك البراعة حسبما يقتضي المقام لما ان التنقل من اسلوب الى اسلوب ادخل في استجلاب
النفوس واستمالة القلوب يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة الى كل واحد من الاخرين
كما في قوله عز وجل الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد الاية وقوله تعالى حتى اذا كنتم في
الفلك وجرين بهم الى غير ذلك من الالتفات الواردة في التنزيل لاسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها
ومما استاثر به هذا المقام الجليل من النكتة الرائقة الدالة على ان تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى
لما اجري عليه من النعوت الجليلة التي اوجب له تعالى اكمل تميز واتم ظهور بحيث تبدل خفاء الغيبة
بجلاء الحضور فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والايذان بان حق التالي بعد ما تامل فيما سلف من
تفرده تعالى بذاته الاقدس الموجب للعبودية وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية واستبداده
بجلائل الصفات واحكام الربوبية المميزة له عن جميع افراد العالمين وافتقار الكل اليه في الذات والوجود
ابتداء وبقاء على التفصيل الذي مر اليه ان يترقى من رتبة البرهان الى طبقة العيان وينتقل من
عالم الغيبة الى عالم الشهود ويلاحظ نفسه في حضائر القدس حاضرا في محاضر الانس كانه
واقف لدى مولاه وهو يدعوا بالخضوع والاخبات ويقرع بالضراعة باب المناجاة قائلا
يا من هذه شؤون ذاته وصفاته نخصك بالعبادة والاستعانة فان كل ما سواك كائنا ما كان
بمعزل عن استحقاق الوجود فضلا عن استحقاق ان يعبد ويستعان ولعل هذا هو السر في اختصاص
السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلوات التي هي مناجاة العبد لمولاه ومظنة للتبتل
اليه بالكلية واياك ضمير منفصل منصوب وما يلحقه من الكاف والياء والهاء حروف زيدت لتعيين
الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وما ادعاه الخليل
من الاضافة محتجا عليه بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فمما لا يعول عليه

وقي

وقيل هي الضمائر واياء عامدة لها لتصيرها منفصلة وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بالتخفيف
وبفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء والعبادة اقصى غاية التذلل والخضوع ومنه طريق
معبد اي مذلل والعبودية ادنى منها وقيل العبادة فعل ما يرضى به والعبودية الرضى بما فعل الله و
الاستعانة طلب المعونة على الوجه الذي مر بيانه وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص
كما في قوله واياي فارهبون مع ما فيه من التعظيم والاهتمام به قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحد
من العبادة والاستعانة ولابراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب وتقديم العبادة لما انها من
مقتضيات مدلول الاسم الجليل وان ساير الصفات المجراة عليه ايضا واما الاستعانة فمن
الاحكام المبنية على الصفات المذكورة ولان العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة من حقوق
المستعين ولان العبادة واجبة حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب وعدمه
وقيل لان تقديم الوسيلة على المسؤول ادعى الى الاجابة والقبول هذا على تقدير كون الاطلاق على
الاستعانة على المفعول فيه ليتناول كل مستعان فيه كما قالوا وقد قيل انه لما ان المسؤول هو
المعونة في العبادة والتوفيق لاقامة مراسمها على ما ينبغي وهو اللائق بشان التنزيل والمناسب
لحال الحامد فان استعانته مسبوقة بملاحظة فعل من افعاله ليستعين به تعالى في ايقاعه
ومن البين انه عند استغراقه في ملاحظة شؤونه تعالى واشتغاله باداء ما يوجبه تلك
الملاحظة من الحمد والثناء لا يكاد يخطر بباله من اقواله وافعاله الا الاقبال الكلي عليه والتوجه
التام اليه ولقد فصل ذلك بتخصيص العبادة به تعالى اولا وباستدعاء الهداية الى ما يوصل
اليه اخرا فكيف يتصور ان يشتغل فيما بينهما بما لا يعنيه من امور دنياه او بما يعمها وغيرها
كانه قيل واياك نستعين في ذلك فانا غير قادرين على اداء حقوقه من غير اعانة منك فوجه
الترتيب ح واضح وفيه من الاشعار بعلو رتبة عبادته تعالى وعزة منالها عندنا لعابدين اشرف
المباغي والمقاصد وبكونها من مواهبه تعالى لا من اعمال العبد ومن الملائمة لما يعقبه من الدعاء
ما لا يخفى وقيل الواو للحال اي اياك نعبد مستعينين بك وايثار صيغة المتكلم مع الغير في الفعلين
للايذان بقصور نفسه وان ذلك مما لا يتصور من عباد هو من جملتهم وجماعة هو من
زمرتهم كما هو ديدن الملوك او للاشعار باشتراك سائر الموحدين له في الحالة العارضة
له بناء على تعاضد الادلة الملجئة الى ذلك وقرئ نستعين بكسر النون على لغة بني تميم **اهدنا الصراط
المستقيم** افراد لمعظم افراد المعونة والمسؤول بالذكر وتعيين لما هو الاهم او بيان لها كانه قيل كيف
اعينكم فقيل اهدنا والهداية دلالة بلطف على ما يوصل الى البغية ولذلك اختص بالخير

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)